رحمك الله يا أبا الحسن

بقلم العلامة الشيخ محمد علي الاردبادي

لقد ارتج علي القول في الافاضة عن موجبات ودي للفقيد الغالي حتى اكون قد اديت حق البرهنة على مبلغ حبي الذي حدا بي الى الوقوف في هـذا الموقف الرهيب وما يبدو مني من حسرات تستتبع زفرات فلا ادري ان الذي علق به حبي هل هو عنصر القداسة ام هو الفضل. والكمال وان من نيطت به واشجة قلبي هل هو من شخصيات عالم الملك ام الملكوت فأن يكن الاول وان تأباه له ما اكتنفته من الفضائل والفواضل فهو جقيقة غامضة فوق متناول القدرة البشرية .. ومهما تشدق الواصف (فان المعرف اجلى) ومن حاول تحديده فقد ركب صعبا وحاول عسيرا وان كان الثاني كما تعطيه ملكاته الفاضلة وطباعه المحمودة وغرائزه الكريمة فليس في وسع الباحث وهو من عالم الشهود ادراكه وهو من عالم الغيب . فمن المستصعب حينئذ

او المتعذر معرفته على الجالين غير انا مهما جهلنا شيئا فلا نشك ان فقيد آل يسن واقع في مركز الدائرة فخطوط المآثر اليه متساوية . . . تجده فقيها بارعا في حين تبصره ناسكا متعبدا، وتشاهده خشنا في ذات الله بطرف تراه اريحيا يكاد يسيل خلقا ويتوقد ذكاء ـ

براه الله للعلماء غوثاً وللدنيا حماً وابا رحيما

لقـد فقدت الامة منه كهفا منيعا وخسرت منه عماد خبائها ورونق بهائها فقد اودي شيخنا وفي بناه علم الاصلاح وعلى اسارير جبهته نور الايمان وبين شفتيه كلمة التوحيد وملؤاها به نفسية الخلق الكريم.. رحمك الله يا ابا الحسن مضيت نقي الذيل عن درن الاهواء منزها عن موبقات الشهوات صائنا لنفسك حافظا لدينك مخالفا لهواك مطيعا لامر مولاك عشت فينا حميدا وفارقتنا سعيدا حدبت على ابناء العلم فاين منك الاب الرؤف والام الرؤم فملىء العيون جهودك الجبارة وملىء المسامع علمك الفياض ـ وغير فقيد من ترك ذكرا مخلدا وشرفا طارفاً وتليدا

قد كان يغمرنا لطفاً يكاد به يرف من موحش الصحراء بلقعه
اذا تبرقع وجه الارض في حلك من الظلام بدا فانجاب برقعه
وان تزجع مضنى جاء مبتسما له ، فزال من المضنى ترجعه
إنا اضعناه لاشما تنيرلنا ولا طريقا سبيل الرشد مهيعه
ولا اباً قد عرفنا من ابوته كيف انثنت لمرائى اليتم ادمعه
لكن اضعناه الطافاً مباركة واللطف في الكون اغلى ما يضيعه
وانت ياشطره الثاني الذي نبتت في المجد دوحته فاخضل مربعه
انا بنارك فيك العلم موهبة والفن من رعف للاقلام تيدعه
ونستحي ان نقول : الصبر مرفأنا
الاسمى فمثلك مثلي لايشجعه
وانت يافرعه الزاكي الذي احتفظت
به القوافي (ضميرا) ضاع (مرجعه)
اني ليخجلني ان لاامديداً تبارك الدمع منثوراً فتشفعه
فقد ذهلت من البلوى وحسبك في شعر له وتر مني يوقعه

ابالقوافي وهذا الخطب كان به
من شعرك العبقري الفذ ابدعه
يامن اهبت بروض الشعر تنهضه
(قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه)
ان صوح الحقل من سجع البلابل في
يوم ، فان كنار الشعر يمرعه
خطب اقام ذرى الوادي واقعدها
هل كيف لايخرس الاطيار مفجعه
اذ الربيع الذي كانت تطوف به خلت من الياسم الريان اربعه
والسلسل العذب قد غاضت جداوله
وجف من لاهبات القيض منبعه
فهل ترى الشعر كالاثمار يانعة اذا تصلب من الاغصان اينعه

* * *

مصطفى جمال الدين